# مصادر الفن المسرحي كما تبدت في فكر محمد مندور النقدي

د. محمد لخضر زبادية
جامعة باتنة
الجزائر

ليس من السهل على أي باحث أن يرصد فكر محمد مندور النقدي إلا بعدما يقدم لمحة عن حياته حتى يتسنى لنا فهم هذه الشخصية المتميزة إذا ما قورنت بمعاصريها .

ولد محمد مندور في الخامس يوليو(جويلية) عام 1907 في كفر مندور بالقرب من (منيا القمح ) محافظة الشرقية والمسافة التي بينهما وبين القاهرة لا تزيد عن ثمانين كيلو مترا والكثير من الباحثين يقولون إنه قد تربى في بيت يتصف جميع أهله بالتمسك بالدين والأخلاق ولذلك نشأ كغيره من أبناء البلاد العربية - نشأة دينية . وفي الخامسة من عمره التحق بالكُتاب وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وأصول الحساب ، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم .

ولما أدرك السادسة من عمره التحق بمدرسة منيا القمح الابتدائية التي أكمل فيها تعليمه الابتدائي عام 1921 ،وفي نفس السنة التحق بمدرسة طنطا الثانوية ، فوجدناه من بين الطلاب المتفوقين ، لأنه احتل المرتبة الثانية عشرة في امتحان البكالوريا، وبعد حصوله على هذه الشهادة رغب في الالتحاق بكلية الحقوق لكي يتخرج وكيلا للنيابة "وكيلا للجمهورية " ؛ لأن هذه الوظيفة كانت مطمح الشباب آنذاك .

ووصف لنا محمد مندور أول لقاء له مع طه حسين الذي خاطبه قائلا :

-ما الكلية التي طلبت الالتحاق بها ؟

-كلية الحقوق يا دكتور

-ولماذا ؟

-لأتخرج وكيلا للنيابة .

فقهقه الدكتور طه حسين وعاد يسأل تلميذه :

- ولماذا وكيلا للنيابة بالذات ؟لأنه الرجل الذي تهتز له بلدتنا كلها عندما يحضر لها .

أما فلاح صحيح ...يا بني إن لديك استعدادا أدبيا لا شك فيه وخسارة أن تدفن نفسك في هذه المهنة، أنا أنصحك أن تعدل عن الحقوق إلى الآداب وأملي كبير في أن تتفوق وأن تسافر في بعثة إلى اوروبا بعد تخرجك لتعود وتعمل أستاذا في الجامعة .

ولكن الطالب الريفي رفض عرض أستاذه في أدب، وأصر على البقاء في كلية الحقوق فقال الأستاذ :"أما فلاح مخه ناشف ". ثم صمت قليلا ليستطرد بعد لحظات :

-"طيب يا سيدي، ابق في الحقوق كما تريد ولكن على أن تلتحق أيضا بكلية الآداب في نفس الوقت وأنا أتعهد بإعفائك من مصروفات كلية الآداب، ولن يصعب عليك الجمع بين الكليتين لأن الدراسة الإعدادية ستكون في الصباح بالحقوق وبعد الظهر بكلية الاداب "(1)

ووافق محمد مندور على هذا الرأي حيث التحق بالكليتين معا، مما جعله يجمع بين الثقافتين القانونية والأدبية اللتين عملتا على توسيع آفاق مداركه .

ولما اختيرللسفر في بعثة إلى فرنسا لم ينجح في الكشف الطبي، إذ كان ضعيف النظر، وتدخل طه حسين مرة أخرى، فشفع له لدى وزير المعارف، حيث طلب منه أن يسمح لهذا الطالب بالبعثة لأنه جدير بها. وقد أرسل محمد مندور إلى فرنسا، حيث مكث فيها تسع سنوات تقريبا، فلم يلتزم بالمنهج المقرر للبعثة، فانصرف الى الاطلاع على ينابيع الثقافة التي ارتآها مناسبة لشخصيته وفكره.

وفي هذا السياق يوضح لنا محمد مندور سلوكه هذا

بقوله:"وسافرت إلى اوروبا حيث وضعت لنفسي خططي الخاص في الدرس والتحصيل وكان في تلك الخطط ما يتماشى مع الخطط الرسمية، ولا قيت من ذلك بعض العنت، ولكنني كنت أجد دائما في جواري هذا الأستاذ الكريم "(2)

ويحرو بنا أن نشير إلى أن (محمد مندور) لم ينس دراسة القانون حينما كان بباريس، فدرس الاقتصاد السياسي، والتشريع المالي . بل أنه واضب على حضور كثير من المحاضرات لكبار أساتذة الفلسفة، والتاريخ، وعلم النفس، والاجتماع، فاغترف من ذلك زادا عظيما كان ذا أثر فعال في تكوينه المعرفي، غير أن هذا الجهد الذي بذله محمد مندور لم نجد له صدى يذكر؛ لأنه حين عاد من باريس سنة 1939 إلى بلده، وأراد أن يلتحق بكلية الآداب ليكون أحد الاساتذة التي يدرسون في قسم اللغة العربية، رفض طلبه بحجة أنه لم يحصل على درجة الدكتوراه، وتحديا منه أنجز رسالته في فترة وجيزة وكانت هذه الرسالة من أفضل ما كتب في النقد العربي القديم .

وعلى الرغم من ذلك لم يحصل من الجامعة على الدرجة التي يستحقها، وبذلك خرج منها مكرها، واتجه نحو رحاب الحياة لعله يجد تقديرا من المجتمع .

والمتتبع لحياة (محمد مندور) في الأربعينيات يلاحظ أنه قد نصب نفسه مدافعا عن أفراد مجتمعه، حيث كان يعالج القضايا الأساسية التي تمس هدا المجتمع، وتجلى نشاطه هذا في تلك المقالات التي كان ينشرها في جريدة "الوفد المصري "، لأنه كان يرى أن وطنيته تحتم عليه أن يلتزم بالدفاع عن شعبه": "ونحن في أمة تصرخ الآلام في صدور أبنائها، ولقد حان الحين، لكي تحزم الهيئة الاجتماعية أمرها، وتشد من عزم حكامها

ليقيموا توازنها الاجتماعي على أساس ترضاه إنسانيتها الجريحة" (3).

ومن خلال هدا النص وغيره من النصوص نستنتج أن (محمد مندور) كان دا ثقافة واسعة مما ساعده على على استيعاب مبادئ الاشتراكية استيعابا صحيحا هدا من ناحية وعلى استعاب الواقعة الاشتراكية في مجال الأدب من ناحية أخرى، لأن مؤلفاته التي صدرت بعد ثورة 1952، توضح لنا ملامح نزعته الاشتراكية لانه كان يعتقد اعتقادا راسخا بأنه لاطريق لتقدم أي بلد في العالم العربي، إلا عن طريق اتباع الأسلوب الاشتراكي.

وفي هدا الإطار نستطيع القول بأن (محمد مندور) يعد من أبرز الرواد للأدب الاشتراكي في العالم العربي، ومن ينظر نظرة فاحصة في تراث هدا الناقد الأدبي يجده قد ترك لنا تراثا نقديا غزيرا متنوعا ما بين نقد قصة ونقد شعر من جهة، و دراسات نقدية لأعمال مسرحية من جهة أخرى، ويتراءى لنا من خلال هدا المنظور أن (محمد مندور) يعد من القلائل الدين حاولوا أن يذرسوا الأدب بأشكاله المختلفة دراسة جادة، ومن ثمة لا نغالي إدا قلنا أنه من أبرز النقاد العرب المحدثين الدين تبنوا بالتأصيل، والتوجيه، والتقويم الاتجاهات الأدبية السائدة آنداك، وبخاصة الآداب المسرحية التي عاصرها بوصفه قارئا وناقدا لها في مصر، ومختلف الأقطار العربية، حيث كانت جل جهوده منصبة على التنظير للأدب المسرحي، وتفسيره للأنواع الأدبية الأخرى، لأن الفن عامة والأدب خاصة، يصور أن حياة الإنسان الواقعية، وهما في تصويرهما لدلك لا يسجلان الأحداث تسجيلا (فوتوغرافيا) كما هي في الواقع، بل يصورانها تصويرا فنيا وفق قوانين محددة، وإن كان الأدب يتشعب كما تتشعب أنواعه.

**الأسس النقدية في فكر محمد مندور** :وفي هدا السياق نجد (محمد مندور) قد ساق لنا بعض المصادر التي استقى منها بعض الأدباء الكثير من تجاربهم الأدبية وندكر من هده المصادر المصدر التاريخي الدي يعد أحد المصادر الهامة التي اتكأ عليها المبدعون في جل إنتاجهم الادبي :

## 1- المصدر التاريخي والفرض التاريخي :

وهنا نتساءل ما موقف الأديب من التاريخ ؟انه من المتعارف عليه كمسلمة علمية أن الأديب يرجع إلى التاريخ لكي يبرز صورته ليعرفها الناس أو يقوم بعملية بعث لهذا التاريخ بحرية تامة، ولكن الأديب يختار منه التجربة - أي تجربة - التي تصلح للتعبير عن مشكلةإنسانية، أو اجتماعية تشغله أوتشغل عصره او تشغل الانسان في ذاته ، وفي هذا المنحى يختلف موقف الأديب من التاريخ عن موقف المؤرخ . وماذا عن حرية التاريخ وتجاربه ؟ يوضح لنا (محمد مندور) ذلك قائلا : " وإذا كانت حرية الأديب في التصرف في التجربة التاريخية أقل من حرية التجربة الأسطورية لأنه لا يستطيع أن يتجاهل وقائع التاريخ الكبرى وحقائقه الأساسية المتفق عليها ، وإلا قام عمله الأدبي على التزوير الذي لا يقبله أحد ، إلا أنه مع ذلك له حرية واسعة في تفسير الحدث التاريخي وتوضيح بواعثه على النحو الذي يخدم هدفه ، كما أن له الحرية المطلقة في أن يتصور الشخصيات الشعبية التي يعرها التاريخ التفاتا ، مكتفيا بالتأريخ للملوك والحكام والقادة ، ويذهب بعض الأدباء العالميين مثل " دوماس ألكسندر" (Alexandre dumas ) * الأب صاحب عشرات القصص والمسرحيات التاريخية ، إلى أن التاريخ ليس إلا مجرد إطار يضع

فيه الأديب لوحاته الخاصة . (4)

وأصالة الأديب أوضح ما تكون في تحليل نفسية الشخصيات التاريخية ، واختيار البواعث التي تدرس تصرفاتها في ضوء المنطق العام للفترة التاريخية الواحدة على نحو ما يظهر لنا بوضوح عندما نقارن الصورة التي رسمها كل من " شكسبير ويليام " ( shakespeare william ) * ، " شاو جورج برنا رد " ( shaw George Bernard ) * ، وأحمد شوقي لشخصية "كليوباترا" (cleopâtre)، حيث رأى فيها أولهم امرأة حسية متهالكة، بينما رأى فيها الثاني امرأة غرها الجمال فظنت انها تستطيع أن تسيطر به على عملاق محنك مثل (يوليوس قيصر )، وأخيرا حاول أحمد شوقي أن يرد لها اعتبارها وأن يفسر لنا سلوكها مع حكام روما، على أساس ضرب الرومانيين بعضهم ببعض، وذلك خلافا لما هو موجود في التاريخ، ونحن نجد في أدبنا المعاصر الكثير من القصص والمسرحيات التاريخية لعدد كبير من شعرائنا، وقصاصينا غير أحمد شوقي مثل جورجي زيدان ، وعزيز أباظه، ومحمود تيمور، وفريد أبو حديد، وتوفيق الحكيم وغيرهم كثير. أما عن استمرارية هذه المرحلة واستقصاء التاريخ

---

*" دوماس ألكسندر " (Dumas Alexandre ) : كاتب فرنسي ولد بـ "فيليرس-موتيريتس" ( villers cotterêts) سنة1802 وتوفي سنة 1870.

شكسبير ويليام (, shekespeare william) شاعر مسرحي إنجليزي ولد بـ" ستراتفورد" (stratford) سنة 1564 وتوفي سنة 1616 .

*شاو جورج برنارد (shaw george bernard) كاتب ايرلاندي ولد ب دوبلين (dublin) سنة1856 وتوفي سنة 1950 .

"كليوباترا " (Cléoptrâtre): الملكة السابعة لمصر ولدت بالإسكندرية سنة 69 وتوفيت سنة 30 قبل الميلاد.

واستقرائه في خلق أنواع أدبية معاصرة فيقول مندور :"وإن يكن بعض كبار أدبائنا قبل توفيق الحكيم نفسه قد أخذ يدعو إلى الإعراض عن التجارب التاريخية التي سمّاها في كتابه (أدب الحياة) بالأوراق الصفراء مفضلا عليها التجارب الواقعية المعاصرة التي يسميها في نفس الكتاب بالأوراق الخضراء، بل ويفضل للأديب أن يكتب عن التجارب التي عاشها بنفسه أو خالطها ولا حظها في محيطه الاجتماعي الواقعي، على نحو ما فعل هو نفسه في عهد الثورة الأخيرة عندما انصرف عن المسرحيات الدهنية ليكتب مسرحيات واقعية هادفة مثل :"الأيدي الناعمة" ،"الصفقة"(5) وإن كنا نرى أن هدا الموقف الذي ارتضاه مندور لا يتسم بالاعتدال فعلى الرغم من ذلك التطور السريع في التجارب البشرية مما له أكبر الأثر في الأديب نفسه، فإنه يجب أن يضطلع بالتجارب التاريخية بعض الأدباء ، وتواكب العصر كوكبة أخرى من الأدباء، حتى لا تقطع الأصالة وأواصرها بين القديم والحديث، وإن كنا نعتقد أن الواقعية ليس لها معناها عدم أخذ المادة الأولية من التاريخ ، بل ويمكن أن يعتمد الكاتب موضوعات تاريخية ويجعل منها عملا فنيا، يكون أكثر واقعية ممن يلقي بنفسه في بحر الواقع المائل، فواقعية الكاتب في موقفه، وفلسفته، وارتباطه بعمله الإبداعي سواء أكان تاريخيا أم غير تاريخي، أي مدى اهتمامه بعصره وقضاياه الجوهرية .

## 2-الفرض الاجتماعي :

إن اتخاد التجارب الواقعية كموضوعات للأدب ليس شيئا جديدا طارئا، لأن هذا الاتجاه قد ظهر في الآداب العالمية منذ أوائل القرن التاسع عشر، و إن تكن نظرة الأدباء إلى تلك التجارب وبواعث الاختيارقد تطورت وتغيرت عبر القرنين التاسع عشر

والعشرين لتغير أوضاع المجتمعات وتطور الحياة فيها .

فالكتاب الفرنسيون رواد الواقعية النقدية في الادب الفرنسي في القرن التاسع عشر كانوا ينظرون إلى واقع حياتهم نظرة متشائمة نافذة ترى أن الشر هو الأصل في الحياة والإنسان، وأن وظيفة الأدب هي الكشف عن هذا وتصويره، وإبرازه أمام الأبصار لذلك سمي هذه الواقعية بالواقعية النقدية وصاحبها "بالزاك هونوري دي " (Balzac Honré de) *ومن تلاه من كتابها في فرنسا أمثال "موباسان جوي دي" (maupassant guy de )* و"فولتير فرانسوا ماري اروبت دي" (voltaire francois ma-rie arouet dit )* ثم "زولا إميل" ( Zola Emil)* أن الشر ينبع من طبيعة الإنسان العضوية، وغرائزه وحاجات جسده متأثرا في ذلك بأبحاث الأطباء وعلماء علم الحياة، ووظائف الأعضاء وبخاصة العالم الشهير الطبيب "برنارد كلود" (bernarde claude)* الذي اكتشف الكثير في طبيعة الإنسان العضوية وتأثيرها على سلوكه. وعلى هذا الأساس سمي مذهب (زولا إميل)( Zola Email)وتلاميذه بالمدرسة (الطبيعية) أو المذهب الطبيعي الذي يختلف عن الواقعية أو المذهب الواقعي في أن هذا الأخير كان

*"بالزاك هونوري دي " (Balzac Honré de) : كاتب فرنسي ولد بـ "بتورس سنة 1799 وتوفي سنة 1850.

*"موباسان جوي دي" (maupassant guy de ) : كاتب فرنسي ولد بقصر "مروميسنيل" (Miromesil) سنة 1850وتوفي 1893.

*"فولتير فرانسوا ماري اروبت دي" (voltaire francois marie arouet dit ):ولد بباريس سنة 1694وتوفي سنة 1778.

* "زولا إميل" ( Zola Emil): كاتب فرنسي ولد بباريس سنة 1840وتوفي سنة 1902.

*"برنارد كلود" (bernarde claude) : عالم بالفلسفة وهو فرنسي ولد بسان جولين ( Saint Julien) سنة 1813و توفي 1878.

يجنح في تغليب الفساد الاجتماعي، وسوء تنظيم المجتمع، والعلاقات التي كانت تربط بين أفراده وطبقاته على الجانب العنصري في تفسير منهج الشر في الانسان، وإن كان الفساد الاجتماعي يمكن علاجه بينما يصعب تغيير طبيعة الإنسان العضوية، فإن الواقعية النقدية تعتبر أقل بأسا وأكثر إيجابية منها، بل قد يرى الأدب الواقعي النقدي بالتمرد على الشر ومنابعه على نحو ما نحس في أدب "شاوجورج بارنارد" (Chaw george bernard) وعلى نحو اكثر في ادب "تشيخوف أنتون بافلوفيتش" Tchekhov Anton Pavlovitch ".

و يرجع ( محمد مندور ) هذا الفرض الاجتماعي إلى الثورات المعاصرة ، فهو يرى : " كما مهد الأدب تمهيدا قويا في القرن الثامن عشر للثورة الفرنسية الكبرى التي اندلعت في سنة 1789 و لم يهتم إلا بالحقوق السياسية للمواطن و الإنسان ، فإن الأدب قد ظل يمهد بطريق غير مباشر للثورة الثانية الكبرى في تاريخ الإنسانية و هي الثورة من أجل حقوق الإنسان الاقتصادية و الاجتماعية ، أي الثورة الاشتراكية التي لم تنجح لأول مرة إلا في سنة 1917 في روسيا ، ثم أخذت تنتشر في القرن العشرين في كثير من دول العالم علي نحو ما انتشرت مباديء الثورة الفرنسية في القرن التاسع عشر حاملة مباديء الحرية و الإخاء و المساواة إلى كل مكان في العالم ، و مؤيدة ما سمته بحقوق الإنسان ، و إن اقتصرت على الجانب السياسي الديمقراطي ، و بعد نجاح الثورة الاشتراكية التي هدمت مجتمعات عنيفة بالية و أخذت تبني مجتمعات جديدة ... " (6) .

---

* "تشيخوف أنتون بافلوفيتش " Tchekhov Anton Pavlovitch
كاتب روسي ولد بـ "تاجنجورج"( Taganrog) سنة1860 وتوفي 1904.

و اللافت أن أصل الأدب في تلك البلاد اتجاهه الواقعي و أن تكون نظرته إلى الواقع قد تغيرت ، فلم يعد يبحث عن الشر و منابعه ليجلوها و ينقدها ، بل أخذ يبحث عن منابع الخير في الإنسان و دواعي التفاؤل و الثقة به باعتبار أن هذه الثقة و ذلك التفاؤل هما الأساس الذي يستطيع المجتمع أن يبني عليهما و يفضلهما حياته الجديدة ، و من هنا تغيرت الواقعية من واقعية نقدية متشائمة إلي واقعية نقدية بناءة متفائلة .

و تعقيبا على قول محمد مندور الرابط بين الأدب عامة و الأدب المسرحي خاصة بالثورات ، فإننا نرى أن الثقافة الثورية بصبغتيها العلمية و الفكرية لا تهدف إلى تعديل تصورنا على العالم و لا إلى تغيير هذا التصور ، بل تهدف إلى تغيير العالم نفسه ، و في الفن تنعكس الحقيقة في تشكيلها الجمالي ، و يتبدى في حركة الواقع الظاهرة جوهر كاشف عن طرفي الصراع دال على حقيقته الاجتماعية ، و ينتهي في مهمة الفن المتناقض القديم بين الفائدة ذاتها استمتاعا روحيا باكتشاف الحقيقة ، كما تصبح المتعة ذاتها نفيا للاطمئنان البليد و وعيا و مسؤولية .

و تفريعا لذلك فإن المسرح يتبدى فيه شكل صراع جديد معبر عن الصراع في المجتمع بحقيقته الطبقية ، فهو صراع بين ( قوى اجتماعية ) قاهرة و مقهورة ، تتحدد به كل صور الصراع الأخرى النفسية و الفكرية ... الخ ، إذ هو الأساس في المسرح و هنا لا تكون وظيفة المسرح ( الإيهام )بواقع مصطنع متشائم ، بل تكون ( الوعي ) بواقع حقيقي قابل للتغيير .

و ليس الشكل الجديد في الصراع المسرحي ( شكلا رابعا ) في سياق التطور المسرحي ، بل هو شكل مقابل لتلك الأشكال الثلاثة : ( الصراع بين الإنسان و قوي غير إنسانية ) ، ( و الصراع بين الفرد

و المجتمع ) ، و ( الصراع بين قوى نفسية داخل الإنسان نفسه) ، التي عرفها المسرح في ثقافات الطبقات المسيطرة في المجتمعات القائمة على الاستغلال الطبقي . إن تلك الاشكال كانت ( تواري ) الحقيقة الاجتماعية ، أما هذا الشكل فهو يقوم علي بيانها. إن تلك الاشكال الثلاثة تتجسد من الصراع المسرحي و تجتمع في مطلع واحد هو ( المسرحية الأرسطية ) باعتبار أن أرسطو وضع بصورة منهجية منظمة الأصول الأولى للفكر المثالي في ميدان نظرية المسرح و قد صيغت في الفكر العلمي نظرية المسرح في مصطلح( المسرحية الأرسطية ) و الجهد الأساسي في هذه النظرية الأرسطية لـ " بريخت بيرتولت "(brecht bertolt )*( 1897 - 1956)"( 7 ) .

## 3 - الفرض الفني :

في كل مصادر التجارب البشرية الأسطورية و التاريخية و واقع الحياة و المجتمع المعاصرين لا بد أن ينهض الخيال بدوره في استكمال الصورة و إضافة الخطوط التي تنقصها ليكتمل لها البناء الفني و القدرة على العبير و التأثير ، فهناك تجارب قد لا يكون لها أي أصل في الأساطير أو التاريخ أو أحداث الواقع الفعلي ، بل يخلقها كلها خيال الأدب المبدع القادر على خلق الحياة ، و يحدثنا (محمد مندور) عن أنواع الخيال:

" و هنا تختلف أنواع ، فهناك الخيال الجامح الهارب من الحياة إلى الأوهام ، و هناك الخيال الخالق لتجارب تشاكل واقع الحياة ، و ما يمكن أن يحدث فيها فعلا ؛ و هذا النوع من الخيال

---

* " بريخت بيرتولت "(brecht bertolt ) كاتب مسرحي الماني ولد بـ"أوجسبوج" ( Augsbourg) سنة1898 وتوفي سنة 1956.

ترفده دائما قدرة على الملاحظة و التركيب ، أي جمع العديد من الملاحظات الجزئية في الحياة ، ثم تركيبها في صورة فنية متكاملة ، و على نحو يسدطيع أن يقنع القاريء أو المشاهد فكريا و عاطفيا بمشاكل تلك الصورة أو التجربة لواقع الحياة الفعلية و ممكناته . و لهذا عرف بعض المفكرين الفن كله بأنه إيهام بالحياة و اتخذوا من القدرة علة هذا الإيهام مقياسا للحكم له أو عليه " ( 8) و لكن كثيرا ما يختلط الخيال بالواقع، ويصعب التمييز بين العناصرالواقعيةالفعلية في العمل الأدبي المبتكر بأحداثه وشخصياته، بينما قد يسهل ذلك في التجارب التاريخية والأسطورية أو تاريخ الحدث والعمل الأدبي المفقود .

قد تكون نقطة الانطلاق في التجربة الواقعيةملاحظة جزئية وقع عليها الكاتب أو نبأ عن حادثة جريمة قرأها في إحدى الصحف أو سمعها من غيرة فيتحرك خياله ليكمل الصورة ويركبها مسترشدا في تصويره بمنطق الحياة والمجتمع وممكناته.

ويسوق لنا مندور رأيه في هذه القصية : " ومن المعلوم أن الأدب والفن حتى عند "أرسطو"(Aristote)* الذي يرجعهما إلى المحاكاة - لايمكن أن نقصرهما على محاكاة الواقع الفعلي، لأن أرسطو قال بأن المحاكاة تكون للواقع وللمكن وللمثال، أي لما يقع في الحياة ومايمكن أن يقع فيها وما يجب أن يقع، فضلا عن أن الواقع الفعلي قلما يقدم ما يكون الصورة الفنية المتكاملة ، ومن هنا يأي دور الخيال في إكمال الصورة وتحويلها إلى الفن فضلا عن عمله في استيطان بواعثها ومحركاتها " (9) وبعد أن تكتمل

---

*ارسطو " ( aristote ) ؛ فيلسوف يوناني ولد بـ " ستراجير "(stragire) ) سنة 384 و توفي سنة 322 قبل الميلاد .

للأديب ملكة الخيال ويخلق عمله الأدبي قد يلجأ في أغلب الأوقات إلى التلخص من الترعة الخيالية كلية، ويجنح إلى التجارب الشخصية ليطعم بها خياله.

مؤمنا بأن التجارب الشخصية تجعل من الخيال أكثر واقعية؛ غيرأن التجارب الشخصية في الأدب لاقت وتلاقي العديد من الانتقادات التي ربما تخرجها من الأنواع الأدبية إلى نوع من تاريخ الشخص أو الأديب ناهيك عن كثير من العيوب المتصلةبالتكتيك من تدخل مباشر في الأحداث وتميز في تصورات الشخصيات. ولجأ أغلب الكتاب إلى التحوير في صورة أعمالهم لحفز عقل القارئ ودفعه إلى معرفة ما هو ممتع، وأكاد أجزم بأنه لكي يقوم العقل الناقد بعمل ينبغي أن تكون هناك مسافة بين المتلقي ومايراه حتى يستطيع أن يتأمل، ويفكر، ويقرر، ويعيد بناء واقعه من جديد -مهما اختلفت التجارب المعروضة أمامه - أي ينبغي أن يفصل المتلقي عن الممثل-- في المسرح وألا يندمج في الحدث ليحفظ لنفسه بالقدرة على النقد وتحديد القرار . وموقفه هذا لا يختلف عن ذلك المثال الذي ينحت تمثاله عليه أن يتراجع مرات أمام تمثاله ليرى ، و يحول ، و يبدع كذلك ينبغي ، أن ينفصل الممثل عن الشخصية التي يمثلها ، و دورها و موقفها، تمثيلا دون أن يوهم أنه نفس الشخصية و هذا يجعل النص الأدبي المسرحي يختلف عن النصوص المسرحية المألوفة ، إذ أن هذا النص الجديد بالنسبة لعقل المتلقي فيثيره و يحفزه على المقارنة ، و اتخاذ القرار ، و الحكم .

## الفكر المسرحي عند محمد مندور
## في ضوء النظرية الدرامية :

و نخرج من هذه الفروض التي سقناها في هذه العجالة إلى القول بأنه إذا كان الإبداع و التلقي محكومين بواقع عملي محدد ذي ملابسات تاريخية و اجتماعية ، فإن الفنون - و ما تتضمنه من أنواع محكومة بهذا الواقع نفسه فمن وجهة الإبداع ما ينشأ فن - أو نوع فني - إلا تلبية لحاجة عملية و اجتماعية عامة ، و من جهة التلقي فإن هذه المنشأة لا تتحقق إلا إذا كانت الحواس الداخلية و الخارجية مهيأة لتلقي هذا الفن ، أو النوع الفني و قادرة على تذوقه أي أن الذي يحدد الفنون و الأنواع السائدة في مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي هو النشاط العلمي ، و الاجتماعي في هذه المرحلة و من هنا فإنه يمكن - فيما يتصل بالأنواع الأدبية - القول إن النوع الأدبي ينشأ و يتطور في موضع تاريخي اجتماعي محدد ، و أنه يستمد ماهيته من الخبرات العلمية و التكنيكية في هذا الوضع ، كما يستمد مهمته من الوفاء بحاجات جمالية ، و روحية ، و فكرية ، و اجتماعية عامة يحددها ذلك الوضع التاريخي الاجتماعي .

إن لكل نظام اجتماعي نوعه الأدبي ، أو أنواعه الأدبية التي تحقق مثله الجمالي الأعلى ، و تعكس علاقة الإنسان فيه بعالمه الطبيعي الاجتماعي ، فإذا كان هذا هو المبدأ العام في نشأة الأنواع الأدبية و تطورها نجد محمد عبد المنعم تليمة يضع احترازين هامين يتصلان بهذا المبدأ .

فالاحتراز الأول :" إنه على الرغم من أن النوع الأدبي يرتبط في منشئه و نضجه و تطوره بوضع تاريخي اجتماعي محدد-

بنظام اجتماعي فإن أعمالا فنيةمن هذا النوع تظل باقيةخالدة بعد فناء هذا النوع و انقراضه ، و بعد انتهاء ذلك الوضع التاريخي الذي ساد هذا النوع الأدبي و ذلك أن بالفن العظيم عناصر دوام و استمرار مرتبطة بالعناصر الثابتة من القيم و بالحاجات الإنسانية العامة .

الاحتراز الثاني :" إنه على الرغم من أن المبدأ العام لكل نظام اجتماعي نوعه الأدبي أو أنواعه الأدبية التي تعكس حقائقه و علاقته و مثله و مداركه الجمالية ، فإن هذا المبدأ ليس قانونا نهائيا للأنواع الأدبية ، و إنما هو ( مبدأ عام ، يخضع لخصوصية ) الفن عامة و الأدب خاصة فلقد سبق القول إن الفن باعتباره صورة من صور الوعي الاجتماعي استغلاله النسبي ، و قوانين تطوره الخاصة (10 ) .

و هذا الموقف يجعلنا نخلص إلى نتيجة مفادها أن الأنواع الأدبية ليست جامدة ، و إنما هي تابعة لتطور المجتمع و حاجته الروحية ، و الفكرية ، و الجمالية ، إن الثوابت في الجمال هي المواقف الثلاثة الغنائي ، و الملحمي ، و الدرامي ، أما الأنواع فمتغيرة ، إن المواقف ثابتة ؛ لأنها أصل الإدراك الجمالي للعالم ، و الأنواع متغيرة لأنها محسوسات محكومة بحاجات تاريخية و بمدارك و أساليب في التلقي في مرحلة ما ، و المواقف كلها متحققة في كل عمل فني ، إذ أنها الأصل في إدراك العالم كلية ؛ و إنما يغلب واحد منها على نوع ما ، و وفقا للحاجات الإنسانية في مرحلة بعينها ، و الأصل في العمل المسرحي هو الموقف الدرامي ، لكن هذا الموقف لا يتحقق في المسرح وحده ، بل إنه ليتحقق على نحو من الأنحاء في كل أثر أدبي ، و كذلك الموقفان الغنائي و الملحمي ، و قد تنقرض الملحمة من جهة أنها نوع أدبي مرتبط

بطور اجتماعي بذاته ، و قد تبعث مرة أخرى في طور اجتماعي يقبلها لكن الموقف الملحمي باق في كل أدب ملحمي و غير ملحمي ، و يهمنا القول :

إن التطور العلمي و الاجتماعي في العصر الحديث قد أثر تأثيرا عميقا في تطور الفن ، و جعل الفنون تتنوع ، و تتعاون ، و تتداخل ، و عقد الخبرة الجمالية و صقلها ، و ذلك بإنشاء عادات و مدارك في التلقي جديدة ، و لهذا كله وجدنا الآداب الحديثة و المعاصرة تحقق المواقف الأدبية الثلاثة بصورة فنية واسعة في كل اثر أدبي ناجح ؛ فتحققت الملحمية ، و الدرامية في الشعر الغنائي، و تحققت الغنائية ، و الملحمية في الأدب المسرحي و تداخلت المواقف الثلاثة في الرواية ... و لم يتعارض هذا التداخل مع تمايز الأنواع الأدبية بل أفاده و أغناه .

و من خلال هذا المنظور نستطيع القول بأن ( محمد مندور ) يعد أحد النقاد العرب القلائل الذين حاولوا أن يؤصلوا في ضوء النقد الحديث للأدب المسرحي خاصة ، و الأنواع الأدبية الأخرى بصفة عامة ؛ مما جعله بحق يتبوأ صدارة النقاد العرب المحدثين في هذا المجال .

## الهوامش

1 / محمد مندور : مجلة المجلة . القاهرة ، ديسمبر 1964 .

2 / محمد مندور : في الميزان الجديد ، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، ط 1 .( صفحة الإهداء ) .

3 / محمد مندور : مجلة الرسالة ، القاهرة ، عدد 584 . 10 / 09 / 1944 .

4 / محمد مندور : الأدب و فنونه ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، القاهرة ، 1974 ، ص 86 – 87 .

5 / محمد مندور : الأدب و فنونه ، ص 88 – 89 .

6 / محمد مندور : الأدب و فنونه ، ص 91 – 92 .

7 / محمد عبد المنعم تليمة : مقدمة في نظرية الأدب، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، ط (1) ، 1973 ، ص 155 – 156 .

8 / محمد مندور : الأدب و فنونه ، ص 92 .

9 / محمد مندور : الأدب و فنونه ، ص 93 .

10 – محمد عبد المنعم تليمة : مقدمة في نظرية الأدب ، ص 138 – 139

و هناك مراجع أخرى أفاد منها الكاتب في إعداد هذا المقال :

## المراجع باللغة العربية

1 - أحمد كمال زكي : الأساطير ، المكتبة الثقافية 1967 .

2 - أحمد هيكل : الأدب القصصي و المسرحي في مصر ، الطبعة الثانية ، 1971 .

3 - ألارديس نيوكل ، ترجمة دريني خشبة : علم المسرحية ، مكتبة الآداب و مطبعتها ، الجماميز ، القاهرة، 1958.

4 - ألارديس نيوكل ، ترجمة دريني خشبة : فن الكاتب المسرحي ، مكتبة نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة 1964 .

5 - زكي نجيب محمود : فلسفة و فن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1963 .

6 - سامية أحمد أسعد : في الأدب الفرنسي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 1976

7 - السيد حسن عيد : تطور النقد المسرحي في مصر ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة ، 1965 .

8 - طه حسين : ألوان ، دار المعارف ، القاهرة .

9 - عزالدين إسماعيل : الأدب و فنونه ، دار الفكر العربي ، 1958 .

10 - عطية عامر : دراسات في الأدب العربي الجديد ، نهج ديغول الطبعة الأولى .

11 - فوزي فهمي أحمد : المفهوم التراجيدي و الدراما الحديثة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب ، القاهرة ، 1967 .

12 - محمد صقر خفاجة : تاريخ الأدب اليوناني ، سلسلة

الألف كتاب ، نهضة مصر ، القاهرة 1956 .

13 – محمد غنيمي هلال : في النقد المسرحي ، دار نهضة مصر . القاهرة ، 1955 .

14 – محمد كمال الدين : العرب و المسرح ، كتاب الهلال ، 1925 .

15 – محمد لخضر زبادية : أصول النقد المسرحي عند محمد مندور ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، 1977 .

16 – محمد يوسف نجم : المسرحية في الأدب العربي الحديث ، دار بيروت ، 1955 .

17 –هنري رياض : محمد مندور رائد الأدب الاشتراكي ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية . 1962 .

## المراجع باللغة الفرنسية

FRANCAISE LIBRAIRIE HACHETTE PARIS ;1916 1
GUSTAVE LANSON : ESQUISSE DUNE HISTOIRE - 2
DE LA TRGEDIE FRANCAISE LIBRAIRIE ANCIENNE HON-
ORE CHAMPION PARIS ; 1927
JACQUES MOREL : LA TRAGEDIE LIBRAIRIE 3-
ARMAND COLIN; 1964
MICHEL LIOURE : LE DRAME LIBRAIRIE ARMAND - 4
COLIN ; PARIS ; 1963
PIERRE LARTHOMAS : LE LANGAGE - 5
DRAMATIQUE LIBRAIRIE ARMAND COLIN ; PARIS 1972
PIERRE VOLTZ: LA COMEDIE LIBRAIRIE ARMAND - 6
COLIN ; PARIS ; 1964
DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE PETIT - 7
LAROUSSE EN COULEURS LIBRAIRIE LAROUSSE PARIS ;
1980